

محاولة في تصنيف الأحزاب السياسية

فلاديمير لينين

٣٠ سبتمبر ١٩٠٦

رفض مؤتمر توحيد حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي، كما نعلم، تحليل الأحزاب السياسية الروسية من وجهة نظر قاعدتها الطبقية ورفض تحديد موقف البروليتاريا إزاءها. ولم يكن التأكيد العام على مقرر أمستردام غير شكل لهذا الرفض. لكن الثورة تتطلب بإلحاح متزايد أن نطبق المنهجية والنظرية الماركسييتين في دراسة تشكل الأحزاب وفي تلك السيرورة العميقة وبالغة الأهمية التي تتواصل في روسيا بشكل أسرع وأكثر حيوية من أي مكان آخر وذلك لأسباب مفهومة.

طبعاً مازالت هذه السيرورة بعيدة عن الاكتمال وما زالت لم تعط بعد نتائج قارة. لكن هذه السيرورة لا يمكن أبداً أن تنتهي في المجتمع الرأسمالي ولا يمكن أن تكون نتائجها «قارة» إلا عندما يتوقف تطور الثورة بما هي تدمير شامل لكافة البنية الفوقية السياسية القديمة. هذا ما يجعل متعذراً علينا تأخير تحليل الأحزاب البرجوازية لا سيما أن فترة حريات أكتوبر من جهة وفترة الدوما الأولى من جهة ثانية قد أعطتا بلا ما لا يدع مجالاً للشك نتائج جدية يستحيل غض الطرف عنها. وسيتطلب النضال الثوري المفتوح في شكل إضرابات وانتفاضات، الخ من حزبنا أن يدقق بوضوح علاقاته مع باقي الأحزاب، والحال أن ذلك غير ممكن إلا بتحليل علمي أي تحليل طبقي.

لنبدأ بجرد الأحزاب السياسية الهامة إلى هذا الحد أو ذاك (بوجه الدقة/أنماط**
الأحزاب) سيرا من «اليمين» إلى «اليسار»، فهناك : أ) اتحاد الشعب الروسي،

** نقول أنماط الأحزاب، أولاً، لأن من المستحيل تسجيل جميع الأقسام الصغيرة، وليس من الضروري القيام بذلك (مثلاً، الفرق بين الحزب الصناعي التقدمي، أو الديسك^(١)، وحزب ←

الملكيون، الخ، ب) حزب النظام الشرعي، ج) الاكثوريون، د) حزب التجديد السلمي، هـ) حزب الإصلاحات الديمقراطية، و) حزب الكاديت، ز) المفكرون الاحرار، الراديكاليون، «البيزاغلافسكي»^(٢)، الخ. ح) الاشتراكيون الشعبويون-الترودوفيك ط) الاشتراكيون-الثوريون، ي) القصويون، ك) الاشتراكيون الديمقراطيون المناشفة والبلاشفة. ولا نعتبر الفوضويين لأنه من المخاطرة اعتبارهم حزبا سياسيا (شأنهم في ذلك شأن القصويين).

من هذه الفسيفساء تبرز بوضوح خمس أنماط أساسية من الأحزاب السياسية في بلدنا: أ) المئات السود، ب) الاكثوريون، ج) الكاديت، د) الترودوفيك، هـ) الاشتراكيون الديمقراطيون. ويبرهن تحليل الطبيعة الطبقة لهذه الأحزاب على صحة هذا التصنيف.

لا شك أنه يتعين اعتبار الاشتراكية-الديمقراطية نمطا على حدة. إنها خاصة بأوربا بكاملها. إنها في روسيا الحزب العمالي الوحيد، إنها حزب البروليتاريا، سواء بتركيبه أو وجهة نظره البروليتارية المدعومة بصرامة.

ثم من الجلي أيضا أن على الترودوفيك^(٣) أن يشكلوا نمطا آخر. ويُدرج في هذا النمط «الحزب الاشتراكي-الشعبي للعمل» و الاشتراكيون-الثوريون بحصر المعنى وأخيرا القصويون. وكلهم ينطلقون نظريا من وجهة نظر «مبدأ العمل». ويميلون كلهم إلى جمع وصهر البروليتاريين وصغار المنتجين في «مجموعة واحدة للعمل». ويسعون إلى الاستناد بالخصوص على الفلاحين. وقد أبرزت دوما الدولة، حيث شكلت غالبية النواب الفلاحين مجموعة عمل، إن هذه الاتجاهات تمكنت (إلى هذا الحد أو ذلك) من خلق فعلي للمنظمة السياسية للفلاحين.

→ القانون والنظام غير جدير بالأهتمام؛ ثانيا، سيكون من الخطأ اخذ الاحزاب التي ظهرت رسميا في الحلبة السياسية بعين الاعتبار، وإهمال الإتجاهات السياسية الواضحة المعالم بجلاء. ان تغير طفيف في المناخ السياسي سيكون كافياً لتحول هذه الإتجاهات الى أحزاب نظامية خلال بضعة أسابيع.

طبعاً لا شك أن الأحزاب السياسية من هذا النوع متبلورة ومنظمة بشكل أقل بما يقاس من الحزب الاشتراكي-الديمقراطي. من الناحية الشكلية لا يوجد حزب القسويين، رغم أن انشاقهم عن الاشتراكيين-الثوريين أمر واقع برهن عليه استقلال كتاباتهم وأعمالهم الإرهابية. في الدوما لم يشكل الاشتراكيون-الثوريون تكتلاً، وكانوا ينشطون بالاختفاء خلف بعض التروودوفيك. كما أن «الحزب الاشتراكي-الشعبي للعمل» يوجد أيضاً في حالة جنين رغم أنه لا يعمل في الصحافة بارتباط مع اشتراكيين-ثوريين أقحاح و حسب بل حتى بشكل مستقل. وفي الدوما تصرف أيضاً زعماءه تارة بارتباط بالاشتراكيين-الثوريين، لكن باستقلال تارة أخرى. كما تبرز محاضر المؤتمر الأول للحزب الاشتراكي-الثوري (باريس ١٩٠٦) أن هؤلاء الاشتراكيين-الشعبيين-التروودوفيك يعملون كـ«مجموعة» على حدة على هامش حزب الاشتراكيين-الثوريين. باختصار نرى في هذا المعسكر: (١) حزبا سريا (حزب الاشتراكيين-الثوريين) العاجز كلياً عن خلق منظمة جماهيرية إلى هذا الحد أو ذاك وقارة إلى هذا الحد أو ذاك، وعاجز عن العمل باستقلال، تحت رايته الخاصة، في الدوما وفي الصحافة خلال حقبة الحريات. (٢) حزبا شرعياً في طور التشكل (حزب الاشتراكيين-الشعبيين-التروودوفيك)، الذي تصرف خلال مؤتمر الاشتراكيين-الثوريين (ديسمبر ١٩٠٦) كمجموعة مغايرة لكنه كان عاجزاً لحد الآن عن الشروع في خلق منظمة جماهيرية والذي يعمل غالب الأوقات، في الصحافة كما في الدوما، باتفاق مع الاشتراكيين-الثوريين.

إن كون التروودوفيك لم يتمكنوا، بعد حقبتين من الحرية النسبية (حقبة «أكتوبر» وحقبة «الدوما») من تشكيل حزب سياسي أمر لا يمكن بكل يقين تفسيره بمحض الصدفة. لا جدال في أن ذلك يعود إلى كون البرجوازية الصغيرة (لا سيما بالقرى) أقل قابلية للتنظيم من البروليتاريا. ولا شك أن الخلافات الأيديولوجية للتروودوفيك تعكس أيضاً الوضع غير القار إلى حد بعيد للمنتج الصغير في المجتمع الحديث: أقصى يمين التروودوفيك («الحزب الاشتراكي-الشعبي للعمل» بقيادة بيشخونوف) لا يتميز إلا بشكل طفيف عن الكاديت لأنه يسقط من برنامجه

الجمهورية ومطلب كل الأرض للفلاحين، ولا يتميز أقصى يسار التروودوفيك (القصويون) عن الفوضويين إلا قليلا جدا.

يمثل هاذان الحدان الأقصىان، إن أمكن القول، مدى التآرجح السياسي للبرجوازية الصغيرة الكادحة. من وجهة النظر الاقتصادية يُفهم جيدا كون البرجوازية الصغيرة على وجه الدقة غير مستقرة إلى ذلك الحد. ولاشك أن الثورة الروسية ستعزز عما قريب عدم الاستقرار هذا بدل اضعافه. لكن إذ نلاحظ الأمر ونفسره يجب طبعا ألا ننسى الأهمية السياسية الكبرى لأحزاب كأحزاب التروودوفيك. وستعزز الحرية السياسية الحقيقية تلك الاحزاب بوجه خاص، لأنه في غياب الحريات السياسية تكون قدرتها التنظيمية أضعف من قدرة البرجوازية ومن قدرة البروليتاريا أيضا. ومن جهة أخرى من الحتمي كليا، في بلد برجوازي صغير وفلاحي في جوهره كروسيا، أن تتشكل أحزاب «تروودوفيك» أو برجوازية صغيرة، متذبذبة ايديولوجيا وغير قارة سياسيا لكنها عديدة جدا.

يتوقف مصير الثورة في بلد مثل روسيا بشكل أساسي على السلوك السياسي لصغار المنتجين. إن وجوب إقدام البرجوازية الكبيرة على الخيانة ذات يوم، أمر لا ريب فيه (ولقد خانت بنسبة الثلثين). وكون البروليتاريا هي المحارب الأكد أمر ما لا يحتاج فيما يخص العمال الروس إلى برهان بعد أكتوبر وديسمبر. لكن البرجوازية الصغيرة هي بالذات ذلك المعطى المتغير الذي سيحدد النتيجة.

هذا ما يوجب على الاشتراكيين-الديمقراطيين أن يتابعوا بانتباه خاص التآرجح السياسي الراهن للبرجوازية الصغيرة بين سياسة الولاء البئيسة لدى الكاديت ونضال ثوري جريء ولا هوادة فيه. ولا يتعين عليهم ملاحظة هذه السيرورة فحسب، بل التأثير عليها بقدر قواهم برووليتارية.

لنتابع. لا جدال في أن الكاديت يشكلون نمطا آخر. وليس حزب الإصلاحات الديمقراطية على يمينهم والمفكرون الأحرار والراديكاليون وتجمعات أخرى على

يسارهم غير تفرعات عديمة الدلالة. يمثل الكاديت، في المرحلة السياسية الراهنة، نمطا سياسيا مستقلا. ونرى بوضوح تميزه عن الترودوفيك. فالترودوفيك النموذجي هو الفلاح الواعي. وهو لن يرفض التفاهم مع الملكية وسيهدأ اذا نال قطعة أرضه في اطار النظام البرجوازي لكنه في اللحظة الحالية يبذل كل جهوده في محاربة الملاكين العقاريين لاجل الظفر بالأرض وفي النضال ضد الدولة الإقطاعية لاجل الديمقراطية. مثال الترودوفيك هو وضع حد للاستغلال، إنما يفهم هذا الإلغاء بمعنى بورجوازي صغير وذلك ما يجعل ميله يفضي عمليا إلى نضال ليس ضد كل استغلال بل ضد استغلال الإقطاعيين ورجال المال الكبار. أما الكاديت فهو المثقف البرجوازي النموذجي وحتى المالك العقاري الليبرالي. ويشكل التعامل مع الملكية وكبح الثورة ميله الأقوى. ليس الكاديت، العاجز مطلقا عن النضال، غير سمسار أعمال. مثاله الحفاظ إلى الأبد على النظام البرجوازي، لكن في أشكال مضبوطة بشكل ملائم حسب مقاييس الحضارة والبرلمانية. وتكمن قوته السياسية الكبرى في اتحاد الغالبية الكبرى من المثقفين البرجوازيين، الذين لا غنى لأي مجتمع برجوازي عنهم، لكن العاجزين بالمطلق طبعاً عن ممارسة تأثير جدي لتغيير نظام هذا المجتمع.

ليس الاكتوبري النموذجي هو المثقف البرجوازي بل البرجوازي الكبير. ليس حامل إيديولوجية المجتمع البرجوازي بل سيده. وهو معني بنحو مباشر جدا بالاستغلال الرأسمالي، ويحتقر النظريات ويهزأ من المثقفين ويرفض كل الادعاءات «الديمقراطية» الخاصة بالكاديت. إنه البرجوازي رجل الأعمال. و هو يسعى مثل الكاديت إلى المساومة مع الملكية لكن الأمر بالنسبة له لا يتعلق بنظام سياسي ولا ببرلمانية بل بتفاهم بعض الأشخاص او القادة مع البلاط لاجل إخضاع الموظف الروسي اللفظ والأرعن، بصفته موظفاً أسويوا بمعنى الكلمة، للبرجوازية القائدة. الاكتوبري كاديتي يطبق في الأعمال نظرياته البرجوازية. والكاديتي اکتوبري يحلم في ساعات فراغه، عندما لا يسلخ العمال والفلاحين، بمجتمع بورجوازي مثالي. على الاكتوبري أن يزيد قليلاً من تعلم البرلمانية والنفاق السياسي ولعب

«الديمقراطية». وعلى الكاديت أن يزيد بشكل طفيف تعلم طرائق البرجوازي. عندها سينصهر الكاديتي والاكثوبري حتميا مهما كانت نتائج المساعي الحالية لأجل هذا التقارب الحميم والتي يقوم بها بوجه خاص أنصار «التجديد السلمي».

لكن لا داعي للكلام عن المستقبل. ما يهمنا هو تعلم معرفة الحاضر. بما أن السلطة توجد بالكامل بيد البلاط فمن الطبيعي تماما أن تكون الجمل الديمقراطية للكاديت ومعارضتهم «البرلمانية» لوحدها مفيدة أكثر عمليا للعناصر التي على يسارهم. كما أنه من الطبيعي أيضا أن يبتعد الاكثوبري، المعادي بجلاء لتلك العناصر، مستاء من الكاديت ويدعم (في انتخابات الدوما الاولى) المئات السود الحكوميين.

يشكل المئات السود النمط الأكثر يمينية من أحزابنا السياسية. إنهم لا يريدون «دستور ١٧ أكتوبر» مثل أمثال غوتشكوف: هم في حاجة إلى الحفاظ على الاتوقراطية وإعادة ارسائها شكلا. وتكمن مصلحتهم في الحفاظ على كامل الوسخ والجهل والخساسة المزدهرة في ظل السلطة المطلقة للملك المحبوب. إن ما يجمعهم هو نضال ضاري للدفاع عن امتيازات البلاط للتمكن، كما في السابق، من نهب وتعنيف ولجم البلد برمته.

و بدفاعهم مهما كلف الأمر عن الحكومة القيصرية الحالية يقتربون باستمرار من الاكثوبريين وهذا ما يصعب تحديد أين ينتهي المئات السود وأين يبدأ الاكثوبري عندما يتعلق الامر بحزب «النظام الشرعي».

هكذا أفرزت الثورة الروسية في أقصر وقت عدة أنماط أساسية من الأحزاب السياسية تطابق الطبقات الرئيسية بالمجتمع الروسي. فثمة حزب البروليتاريا الاشتراكية الواعية، وأحزاب البرجوازية الصغيرة الراديكالية أو ذات الميول الراديكالية وفي المقام الأول البرجوازية الصغيرة القروية أي الفلاحين، والأحزاب البرجوازية الليبرالية، و الأحزاب البرجوازية الرجعية. إن كانت المنظمات

السياسية لا تطابق تماما التجمعات الاقتصادية والاجتماعية فمرد ذلك فقط إلى أن التجمعين الأخيرين لا تقابلهما مجموعتان سياسيتان بل ثلاث: الكاديت و الاكثوريون والمئات السود. لكن ذلك يجد تفسيره الكامل في خصوصيات الحقبة الراهنة، وهي اللحظة التي أضحي فيها النضال الثوري بالغ العنف و حيث يغدو الدفاع بأي ثمن عن الملكية دفاعا عن الاتوقراطية. واللحظة التي تتداخل تبرز فيها بشكل طبيعي في المجموعات الاجتماعية لهذا الاتجاه الاقتصادي أو ذاك (لأجل رأسمالية تقدمية أو لأجل رأسمالية رجعية) تجمعات سياسية (مع الحكومة الراهنة أو ضدها). لكن القرابة بين الاكثوريين والكاديت جلية جدا ولن يجادل أحد في وشوك تشكل حزب بوجوازي ليبرالي «عملي» كبير.

الخلاصة: تؤكد عملية تشكل الأحزاب السياسية في روسيا باسطع نحو النظرية الماركسية.

ملاحظة: كتب هذا المقال قبل انشقاق اتحاد ١٧ اكتوبر. والآن يعد كل من خروج شيبوف والتشكل القريب لحزب ليبرالي معتدل (اكثوريون يساريون، انصار التجديد السلمي ويمين الكاديت) بارجاع الاحزاب السياسية الروسية بصفة نهائية إلى الأنماط الأربع الأساسية القائمة في كل بلد رأسمالي.

صدرة للمرة الاولى في ٣٠ سبتمبر ١٩٠٦

في جريدة بروليتاري عدد ٥

مصدر النسخة المترجمة: الاعمال الكاملة

(بالفرنسية) دار التقدم – موسكو –

طبعة ١٩٦٦، الجزء ١١، صفحة ٢٢٨

ترجمة ونسخ: جريدة المناضل (فبراير ٢٠٠٥)

راجعها ونقحها الصوت الشيوعي بالإعتماد على النسخة الإنكليزية الالكترونية

الموجودة في مكتبة من ماركس الى ماو على الإنترنت

الهوامش

(١) ديسك: «الاتحاد الديمقراطي للدستوريين» منظمة مضادة للثورة ظهرت في خريف ١٩٠٥ وتضم ممثلي من الفئات العليا من النبلاء وفئات محافظة من البرجوازية الصناعية وكبار الموظفين. في أواخر ١٩٠٥ انضمت الديسك إلى حزب الاكثوبريين.

(٢) البيزاغلافسكي: مجموعة نصف كاديئية ونصف منشفية من الانتليجانسيا البورجوازية الروسية، تشكلت لحظة انحدار الثورة الروسية لسنوات ١٩٠٥-١٩٠٧. اسمها يحيل على جريدها الأسبوعية بيز زاغلافيا (دون يافطة) الصادرة في بطرسبورغ في ماي ١٩٠٦ بإدارة بروكوبوفيتش. ومع اعلانهم عدم الانتماء إلى أي حزب كان البيزاغلافسكي عمليا دعاويين للبرالية البرجوازية وللانتهازية ومؤيدين لنزعة المراجعة في الاشتراكية الديمقراطية الروسية والعالمية.

(٣) الترودوفيك: مجموعة ديمقراطيين بورجوازيين صغار بمجالس دوما الدولة الروسية، مكونة من فلاحين ومتقنين من الاتجاه الشعبوي. تشكلت مجموعة الترودوفيك في ابريل ١٩٠٦ من نواب الفلاحين في الدوما الاولى.